

المكان، فكلبهم منهم حيث ردفهم يرصدهم، وليس منهم فهم فتية آمنوا بربهم وهو كلبهم! فحيث وقعت الواو انقطعت العدة وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم بالقطع والثبات! حيث العطف يجعل المعطوف عليه مستقلاً عنه، محوراً أصيلاً للكلام، وترك العطف يجعلهما في نطاق واحد!

وكأن الأقوال حول عدد أصحاب الكهف منحصرة في هذه الثلاث أم هي أشهرها، في غابر الزمن وحاضر الرسول ﷺ وقد عثر على عدة من الكهوف والغيران وعلى جدرانها تماثيل رجال ثلاثة أو خمسة أو سبعة ومعهم كلب.

وُصف القولان الأولان بـ ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ والأخير إضافة إلى العطف العطوف بـ ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ تدليلاً على أن قائله من هذا القليل، وكيف عرف القليل هذا الغيب إلا بوحيه وها هو وحيه يلمح لمحة مليحة بعدتهم - فإن ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ تجهيل لجماعة وهم القائلون ﴿ثَلَاثَةٌ... خَمْسَةٌ﴾ وتبجيل لآخرين عالمين ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وإنهاء لعلمه إلى رب العالمين: ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾.

كما و﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ تبجيل لهذا القليل ثانياً، والرسول أفضل هذا القليل كما ويلمح إليه ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ فلم يقل الله اعلم، إنما ﴿رَبِّيَ﴾ بما علمني ورباني!

ومن ثم آخرون يتبعونه، ونحن من هذا القليل، وكما بعض الأصحاب الأقدمين يعد نفسه منهم^(١) ونفي العلم بـ «ما» دون «لا» في ما يعلمهم إلا قليل. نفي للحال فاستثناء للقليل في الحال: إن القليل يعلمونهم الحال.

(١) منهم ابن عباس كما أخرج عنه عبد الرزاق والفريابي وابن سعدون ابن جرير وابن المنذر وأبي حاتم من طرق وأخرج مثله عن الطبراني في الأوسط بسند صحيح عنه ومنهم أبو مسعود كما أخرج عنه ابن أبي حاتم (الدر المنثور ٤: ٢١٧).

فضلاً عن الاستقبال! فأحرى من يعلمه هذا القليل هو الرسول ﷺ حيث أوحى إليه ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلِمَةً﴾.

ثم وعلم القليل قد يشمل عدتهم وأسماءهم، كما يروى عن علي عليه السلام أسماؤهم^(١) والله أعلم بعدتهم وأسمائهم، وهذا القليل يعلمهم بما علمهم ربهم، وكما علمنا هنا عدتهم.

وإذا القائلون عن عدتهم بين راجم بالغيب وبين صادق ﴿فَلَا تُعَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا...﴾ فلماذا المراء الباطن وأنت من هذا القليل العالمين بهم بما علمك ربك، ولماذا تستفتيهم، والراجم منهم بالغيب لا يستفتي والصادق يستفتيه إذ لا يعلمهم وأنت تعلمهم! والمراء الظاهر هو الخالي عن العمق والاستبطان، وأصل المراء من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب، وتسمى الجدال مراءً لما فيها من إصرار المماري بالبحث ليفرغ خصمه كل ما عنده من الكلام فينتهي عنه.

فترك المراء معهم فيهم تجهيل لنفسه، والمراء الباطن المستبطن استعلاماً ممن يجهل، أو وممن يعلم وهو عليه السلام يعلم فلماذا يستعلم؟ والمراء الظاهر ممارسة ومدارة احتساباً لما أوحى إليه ربه فحسبه ربه تعليماً له ومراءً معهم!.

ثم المراء غير ممدوح في باطنه دون ظاهره، وإن كان في حق والرسول عليه السلام زعيم بيوتاً في الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً^(٢)

(١) في تفسير روح المعاني ج ١٥ : ٢٤٦ وروي عن علي كرم الله وجهه أن أسماءهم: يملخا ومكشلينيا ومثلينيا وهؤلاء أصحاب يمين الملك، ومرونش ودبرنوش وشاذنوش وهؤلاء أصحاب يساره وكان يستشير الستة والسابع الراعي واسم كلهم قطمير وذكر العلامة السيوطي في حواشي البيضاوي أن الطبراني روى ذلك عن ابن عباس في معجمه الأوسط بإسناد صحيح.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٤٦ ٢٥٣ في كتاب التوحيد بإسناده إلى إسماعيل بن أبي زياد عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله عليه السلام : أنا زعيم بيت في أعلى الجنة وبيت في =

ف «إياكم والمرء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق»^(١) و«لا تمارين حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك»^(٢).

والتماري حول عدد الفتية لا طائل وراءه فسواء أكانوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة أما زاد أو نقص، فما يعلم عدتهم إلا الله والقليل الذين حضروا محضر الكهف في زَمَتِه، والذين عرفهم الله، فلماذا التماري إذاً إلا مرأء ظاهراً، والعبرة في أمرهم حاصلة بالقليل والكثير، والقرآن يلمح بعدتهم دون تصريح، تنبيهاً بعدم العناية بعددهم وإنما المعني به عُدَدُهُمْ، صيانة للطاقة العقلية أن تبدد في ما لا يفيد، وتوجيهاً لها إلى ما يفيد، وألا يمارى راجم الغيب إلا مرأء ظاهراً دون تعميق ولا تعقيب، فهذا حدث تاريخي طواه الزمن وهو من الغيب الموكول إلى علم الله أو مَنْ علّمه الله، فلماذا التماري فيه أو الاستفتاء؟! .

فالمرء محذور وإن كان في حق، اللهم إلا مرأء ظاهراً يقف على حق ويقطع دابر الباطل بمرونة وليونة، بمطالبة الدليل، فإذا لا دليل فلا مدلول، حيث المدعي لشيء بحاجة إلى دليل دون النافي سناداً إلى عدم الدليل.

= وسط الجنة وبيت في رياض الجنة لمن ترك المرء وإن كان محققاً وفيه عن أصول الكافي بإسناده قال: قال النبي ﷺ ثلاث من لقي الله ﷻ بهن دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه وخشي الله في المغيب والمحضر وترك المرء وإن كان محققاً وفي كتاب الخصال عن أبي عبد الله ﷺ قال: من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنة . . . وترك المرء وإن كان محققاً.

(١) المصدر ح ٤١ في أصول الكافي بسند عن أبي عبد الله ﷺ قال قال أمير المؤمنين ﷺ: . . .

(٢) أصول الكافي بإسناده إلى عمار بن مروان قال قال أبو عبد الله ﷺ: . . . وفي كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أربع خصال تميت القلب: الذنب على الذنب وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن ومماراة الأحق تقول ويقول ولا يرجع إلى خير أبداً الحديث.

كما الرجم بالغيب محظور في قياس وسواه، فأية الرجم ترجم القياس في الأحكام وأخرى من القياس كل ظنة في غير الأحكام، وكما الآيات الحاصرة كل اتباع بعلم أو أثارة من علم، الحاذرة كل اتباع بغير علم إلا إذا كان مسنوداً إلى علم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غُدًّا﴾ (٢٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (٢٤):

موضوع النهي هنا ﴿إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غُدًّا﴾ استقلالاً للمشيئة فيما يعده الإنسان ويريده في مثلث من التأكيد: «إني - فاعل - غداً» تحديداً لزمن الفعل وتأكيذاً ذا بعدين في أصله، ف «إن» توكله و﴿فَاعِلٌ﴾ الدالة على الثبات تثبته، وأما أن يقول «سأفعل غداً» أم «سأفعل» أو «أفعل» على مختلف مراتب التحتم في هذه الثلاث نازلة، فالنهي لا يشملها، اللهم إلا أن «لا تقولن» تنهى مؤكداً عن هذه الصيغة المؤكدة، فيبقى النهي دون تأكيد في هذه الثلاث متدرج النزول ف «لا تقولن - أم - لا تقل . . . إلا أن يشاء الله».

فلا يعمه ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ لا تصريحاً النهي المؤكد إذ لم يقل ﴿إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غُدًّا﴾ ولا نهيه دون تأكيد في الثلاث الأخرى إذ لم يقل: سأفعل أو أفعل، وإنما تلميحة في خامسة الأضلاع «تعالوا غداً» وحسنات الأبرار سيئات المقربين!

ف ﴿وَلَا تَقُولَنَّ . . .﴾ مهما شملت رسول الهدى، ليس إلا نهياً في تصريحته ألا يفعل، لا أنه فعل وهنا ينهى.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ . . .﴾ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ . . .﴾: ربطاً لمشيئتك بمشيئة الله، وأنت أياً كنت وفي أي موقف لا تملك إنفاذ مشيئتك المعلومة عندك إلا بسناد مشيئة من الله الغائبة عنك ف ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غُدًّا﴾ (٢٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾! .

في أفعالك الاختيارية لست مفوضاً تستقل في إرادتك دونما رادع أو مؤيد من الله، ولا مجبوراً يستقل ربك في إرادتك فأنت كصورة الفاعل والله هو الفاعل! ف «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» ف ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أم حالاً أماذا، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أنت في حاضر مشيئتك وقوتك وإرادتك غائب عن حول الله وقوته، لا تدري أهو مؤيدك فيها أم رادعك عنها ف ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾!

أنت لا تستقل بنفسك إغماضاً عن ربك ولا تستقل نفسك فيما تريد كأنك لا حول لك ولا قوة اتكالاً «فاشلاً على ربك كأن الفاعل هو ربك دونك أنت، وإنما أنت في حولك وقدرتك عوان بين ذلك، تكرر طاقاتك كلها فيما تعنيه وهو مرضي لربك توكلاً لا اتكالاً. فلا تحس بالتبطر والغرور وأنت مفلح ناجح، ولا تستشعر القنوط وأنت فاشل مخفق، وإنما عليك تجنيد ما عندك من طاقات وإمكانيات فيما يرضي ربك وفي حالك ومقالك وأفعالك ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ف ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾!

ليستشعر قلبك معنى ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وليلفظ لسانك قول ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ولتتسم أفعالك بسمة ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ف ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١)!

لا يملك المخلوق أيّاً كان لنفسه نفعاً ولا ضرراً باستقلال إلا ما شاء الله وحتى رسول الله ﷺ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ﴾ (٢) فضلاً عن أن يملك لغيره أو يملك من الله ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾!

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هي من كلمات رسل الله كما في يوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(١) وموسى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(٢) ويعقوب ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) وإسماعيل: ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَعْلَىٰ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

لا فحسب رسل الله وعباده الصالحون بل وكذلك الله تعليماً لعباده وإعلاماً أن يستمروا في قول: إن شاء الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ...﴾^(٥).

ونحن نسمع كلمة إن شاء الله من الله نفسه فيما هو مقطوع من فعل أو ترك من الله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾^(٦) فرغم أن عطاء الجنة غير مجذوذ عن أهلها يستثني خلودهم بمشيئته تشريفاً لها وإعلاماً أنها غير محصورة بشيء ولا محصورة عن شيء - كما وأن الآلهة من دون الله لا يخاف منها قطعاً ومع الوصف: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾^(٧) ولا يشاء الرب ولن أن يخاف من دونه شيء! وكما العود في ملة الشرك لمن لا يشاءها ولا سيما نبي الله، إنه من المستحيل إن يشاء الله ولكن: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا...﴾^(٨).

ترى - بعد ذلك كله - كيف يترك أول العابدين قوله ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وهو يعد السائلين جوابهم عن الله، وليس جوابهم إلا وحياً من الله والرسول لا يملك وحي الله كما لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله!؟

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة يوسف، الآية: ٩٩. | (٥) سورة الفتح، الآية: ٢٧. |
| (٢) سورة الكهف، الآية: ٦٩. | (٦) سورة هود، الآية: ١٠٨. |
| (٣) سورة القصص، الآية: ٢٧. | (٧) سورة الأنعام، الآية: ٨٠. |
| (٤) سورة الصفات، الآية: ١٠٢. | (٨) سورة الأعراف، الآية: ٨٩. |

إنها لا تعني الرسول ﷺ فيمن تعنيه نصاً، وإنما هي تأنيب على التاركين لها، وتأديب لهم ألا يتركوها^(١) فهي لهم تصریحة وللرسول ﷺ تلمیحة.

أم وإذا تعنيه فيمن تعنيه فهناك بون بينه ﷺ وبين من سواه في وعد الفعل وإن جمع بينهم في ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ نهياً على الأبدال، حيث الرسول ﷺ وهو أول العابدين لا يشاء إلا أن يشاء الله، وكما يخاطب أهل بيت الرسالة المحمدية وهم إنسان الدهر في «الإنسان - الدهر»: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢) إذا فهو هو نفسه مشيئة الله، لا تجد فيه إلا ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ في عقله و صدره وقلبه وسره وخفيه وأخفاه، في حلة وترحاله، في فعله وأقواله.

فمهما يترك لفظه ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ فيما يعد السائلين دون أي تأكيد خلاف ﴿إِنِّي فَاعِلٌ﴾ إجابة بوحى الله، فلا يعدهم إلا بمشيئة الله ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا﴾ كرسول من الله، لا كمن يعرف الجواب دون وحي الله، أو يملك وحي الله، وإنما رسول من الله، ما يشاء إلا أن يشاء الله.

فقد شاء فوعدهم أن يأتوه تلميحاً لوعده الإجابة، ولكنه عليه كسنة رسالية وتعليماً لهذه السنة قوله ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وإن في لمحة ودون تأكيد ولم يتركها إلا هذه المرة طول حياته المنيرة، فليحتبس عنه الوحي أربعين يوماً لماذا ترك ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ولكي يعرف السائلون من خلال ذلك الاحتباس أنه حتماً رسول الله^(٣).

(١) نور الثقلين ٣: ٢٥٥ ح ٥٥ في تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام ذكر أن آدم لما أسكنه الله الجنة فقال له: يا آدم لا تقرب هذه الشجرة فقال: نعم ولم يستثن فأمر الله نبيه فقال ﴿وَلَا تَقُولَنَّ... إِلَّا﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] ولو بعد سنة. أقول فلم يكن ترك الاستثناء إذاً من الرسول نفسه وهو وجه كما وفي تركه أيضاً وجه ذكرناه.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٣) نور الثقلين ٣: ٢٥٤ ح ٥٣ في من لا يحضره الفقيه روى حماد بن عيسى عن عبد الله بن =

إنه لم يكن تاركاً لواجب رسالي يستوجب باحتباس وحيه ودعاً أو قلى :
﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ . . . ﴾ (١) بل هو من
الطاف ربه الخفية مهما كان في ظاهره ودع أو قلى، اللهم إلا أن يتركه
متناسياً ومؤكداً في وعده ولم يؤكد ولن!

إذا فاحتباس وحيه كان رمية ربانية إلى هدفين، أهمهما تثبيت وحيه
ورسالته، أن لو كان من عنده لما احتبس عن الجواب، ثم وعلى هامشه
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ . . . ﴾ فقط للقولة المتروكة لا سواها من حول وقوة وإيمان
وعقيدة فإنه ﷺ كله ﴿ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ مهما يترك لمرة واحدة قولها الذي
يخلف تثبيتاً. لوحيه باحتباسه ردحاً من الزمن!

ذلك الاحتباس في ظاهره ليلٌ إذا سجي وفي باطنه ضحى، فكما
الضحى رحمة كذلك الليل إذا سجي، فليل احتباس الوحي كضحى الوحي
فرقد إن متابعان يتناصران في هامة الرسالة المحمدية السامية.

ثم ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ ﴾ تشمل ما مضى من الرسول ﷺ وما يقبل، كما
ويشمل غير الرسول ﷺ فقلوه ﷺ حين سألوه عن أمر أصحاب الكهف
وذي القرنين والروح: تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثن، فنص النهي في الآية
في مثلث التأكيد لا يشملها إذ لم يقل إني فاعل، وإنما «تعالوا غداً» تلميحاً
كأنه يجيبهم غداً دونما تصريح ولا تأكيد إلا زمناً: ﴿ غَدًا ﴾:

ثم قول إن شاء الله لا يردد القائل فيما يشاء ولا يفصم إرادته وإنما تردد
في مشيئة الله على حتمه في مشيئته.

= ميمون عن أبي عبد الله ﷺ . . أن رسول الله ﷺ أتاه أناس من اليهود فسألوه عن أشياء
فقال لهم: تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثن فاحتبس جبرئيل ﷺ عنه أربعين يوماً ثم أتاه
فقال: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِيَّيَ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٧) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴿
[الكهف: ٢٣، ٢٤].

(١) سورة الضحى، الآيات: ١-٣.

فمن حلف وقال إن شاء الله ليس له الرجوع^(١) إلا أن يقول إن شئت، ولا فرق بين موصوله ومفصوله^(٢).

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ يعم باطن العقيدة والإيمان والنية وظاهر القول والكتابة أماذا، فالكتابة قول كتبي يكتب فيها إن شاء الله^(٣) كما النية قول منوي ينوي معها ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾!

(١) خلاف ما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: من حلف فقال إن شاء الله فإن شاء مضي وإن شاء رجع غير حانث (الدر المنثور ٤: ٢١٨) أقول: ليس غير حانث إلا إذا تردد في مشيئة نفسه كأن يقول: إن شئت، فللمحلف عليه حتمية نسبية له ولا يفصمه إلا إرادة الله إن أراد خلافه! فالرواية مختلفة عليه ﷺ والصحيح ما أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: قال سليمان بن داود ﷺ: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان درج/ لحاجته -

أقول وهو صحيح إلا «فقال له الملك.. فل يقل» حيث ينافي الإيمان فضلاً عن العصمة، ثم لم يحنث لأنه حلف على فعله وهو الطواف على تسعين امرأة لا على فعل الله «تلد كل امرأة» فلا حنث فيما ليس من فعله ولا حلف عليه!

ومثله ما في نور الثقلين ٣: ٢٥٤ ح ٥٢ عن أصول الكافي أحمد بن محمد بن علي بن الحسين عن علي بن أسباط عن الحسن بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فقال: إذا حلفت على يمين ونسيت أن تستثني فاستثن إذا ذكرت. خلاف ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عمر قال: كل استثناء موصول فلا حنث على صاحبه وإذا كان غير موصول فهو حانث (الدر المنثور ٤: ٢١٨).

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٥٣ ح ٤٧ في أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن مرازم بن حكيم قال: أمره أبو عبد الله ﷺ بكتاب في حاجة فكتب ثم عرض عليه ولم يكن فيه استثناء فقال ﷺ: كيف رجوتم أن يتم هذا وليس فيه استثناء انظروا كل موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه.

وفي تهذيب الأحكام بإسناده إلى علي بن حديد عن مرازم قال دخل أبو عبد الله ﷺ يوماً إلى منزل معتب وهو يريد العمرة فتناول لوحاً فيه تسمية أرزاق العيال وما يخرج لهم فإذا فيه لفلان وفلان وفلان وليس فيه استثناء فقال: من كتب هذا الكتاب ولم يستثن فيه كيف ظن أنه يتم؟ ثم دعى بالدواة فقال: الحق فيه إن شاء الله فالحق في كل اسم إن شاء الله.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء عن نفي القول لشيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ فتقول لشيء إني فاعل ذلك غداً أم أي وقت كان إن شاء الله والشيء المفعول يعم المقال والفعال وتبديل الحال، ولتكن لاثقاً لمشيئة الله تشريعاً حتى يربط بمشيئته تكويناً، و﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يخص التكوين، حيث المشيئة التشريعية واجبة الإحراز قبل الإرادة والفعل، فلا تقبل أي تردد، وإنما التردد في التكوينية.

فالقول لمحرم أم ومشتبه إني فاعل ذلك إن شاء الله مس من كرامة الله، وإن كانت المحرمات غير خارجة عن مشيئة الله كما تناسب ساحته دونما إجبار، وإنما تلحق مشيئته تعالى مشيئته المختار! فإن ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ترج لمشيئة التأييد من الله وليس إلا فيما يرضاه الله.

وإذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله فاذكره إذا ذكرت مهما طال الزمن ولما تفعل: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وإن كان بينك وبينه أيام أو أشهر أو سنون^(١)!

وهل القول ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ يطم عامة الأقوال لأي فعل يعزمه فيتم فيها أيأ كان؟ فإن قيل لك أأأكل وأنت جوعان وعلى خوان الطعام: تقول إن شاء الله؟ ولا شيء غائباً عنك خارجاً عن حولك وقوتك هنا تحوله إلى حول الله وقوته؟ . . أجل فإنك لا تضمن حياتك حتى الأكل، ولا صحتك وفقدان أي رادع يردعك! ف ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ آت في كل ما لم يحصل بعد أو لم يتم وأنت فاعله، إن قولاً فقولاً وإن فعلاً فعلاً في الضمير ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾!

(١) نور الثقلين ٣: ٢٥٥ ح ٥٥ في تفسير العياشي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام ذكر أن آدم لما أسكنه الله الجنة فقال له يا آدم لا تقرب هذه الشجرة فقال: نعم ولم يستثن فأمر الله بنبيه فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّيْ إِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ٣١ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] ولو بعد سنة.